مع العربية نحو إشراقة جديدة

الدكتور جمال الدين الفاروقي
عميد كلية WMO سابقا

أتمنى لمجلة الساج المقرّر إصدارها من قسم اللغة العربية بكلية ممباد، كيرالا . دوام التوفيق والسداد ، وآمل أن سيقدر هذا المولود البكر في عالم الصحافة العربية للسير بخطى راسخة نحو القادم الأفضل . كما أرجو من الله أن تبقى المجلة مسرحا للأعمال الأدبية والعلمية حتى يستفيد منها الأساتذة والطلبة على حدّ سواء. وما أحوجَنا في هذه الأيام أن نعمُد إلى الصحافة الهادفة التي تحيي القيم والأخلاقيات في المجتمع، وآمل أن سيكون لمجلة الساج دورها القيادي في إحياء ضمير المجتمع الطلابي وتنويرهم عقليا وعلميا ، لتبقى إلى الأبد نبراسا وضّاءً في رحاب الكليات والجامعات.

تعتبر اللغة العربية أم اللغات العالمية، وما من لغة في القديم والحديث إلا وقد استمدّ لُحمتها وسُداها كثيرًا من العربية. ولها دورها كذلك في تكوين الهيكل اللغوي والبنية الدلالية للغات الأخرى ، واستطاعت العربية أن تواكب مستجدات كل عصر ومصر في الغابر والحاضر، وإن العلوم الحديثة المتطورة في عالمنا اليوم تدين تماما للغة العربية ، لأنها كانت هي الوعاء لهذه العلوم فترة طويلة وحارس ثغورها والعالم وقتئذ في غياهب الجهالة، وكان مما لا بد للباحثين الغرب آنذاك أن يتعلم العربية للتوصل بها إلى العلوم والفنون واستزادة منها في لغاتهم. وعليه يقول روجر بيكن: « من أراد أن يتعلم العلم فليعرف العربية».

وقد أولى معظم الجامعات الأوروبية والأمريكية بالغ الاهتمام بالعربية، الدراسة فيها وتدريسها والبحث في علومها. وبعض الجامعات الأمريكية حيث يكون للطلبة فرصة اختيار اللغات الأجنبية لدراساتهم البكالوريا ، نرى العديد منهم يفضلون العربية اندماجًا باللغات

الأخرى الأجنبية. كما أن في بعض الجامعات كراسيَّ دائمة لدراسة العلوم العربية وآدابها، بل كان بعضهم يفوق في اهتماماتهم هذه الجامعات العربية المحضة. وكذلك المجالات الدبلوماسية في البلدان العالمية بالشرق والغرب حظيت العربية بحضورها الفعلي في المناصب والوظائف الإدارية. والأسواق العالمية والمجالات التجارية والصناعية كلها تدعم العربية للتواصل مع زبائنهم العرب. والمجالات العسكرية والمخابرات صارت هي الأخرى الأكثر حاجة إلى من يتقن العربية في رحابهم. أما مجال الإعلام فالعربية وضعت بصماتها واضحة جلية، إذ نشأت في العالم العربي والإسلامي مئات القنوات التي تبث الأخبار والمعلومات في العربية الفصحى، كما استطاعت العربية مواكبة تكنولوجيا المعلوماتية التي يعيشها العالم اليوم. وهي المجال الأكثر تنافسا للبقاء والتغلب.

العربية في الهند

أما في بلادنا الهند فالعربية فيها امتزجت بثقافتها وحضارتها وعلومها، وهذه البلاد التي حكم المسلمون زهاء ألف سنة تركتْ عبر القرون الكثيرَ والمثيرَ للمكتبات العربية والإسلامية، وأمهات المؤلفات العربية التي قام بتأليفها علماء الهند العباقرة كانت ولا تزال محلَّ إعجاب وتقدير للعالم العربي والإسلامي، ومساهماتهم في علوم اللغة وعلوم الحديث والتفسير وعلم البلاغة والنحو تفوق مساهمات العلماء العرب في الجودة والكمية. والعالم العربي في كل زمان مدين بالفضل لعلماء الهند من أمثال مرتضى زبيد البلغرامي ومحمد أعلى التهانوي والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي والشيخ شاه ولي الله الدهلوي والأمير صديق حسن خان والشيخ ثناء الله الباني بتي، والشيخ أنور شاه الكشميرى والشيخ عبد الرحمن المباركفوري والشيخ شبير أحمد العثماني والشيخ عبد الحي اللكنهوي والشيخ شبلي النعماني والدكتور عبد العزيز الميمني والسيد أبو الحسن على الندوي وغيرهم ممن تركوا للعربية وعلومها آثارا حية تنطق بقدرتهم العلمية في التحقيق والتنقيح وصياغتهم للمناهج القويمة للدراسات والبحوث. ناهينا بهذا الصدد أن نذكر من الكتب: سبحة المرجان وكشاف اصطلاحات العلوم، ومعجم المصنفين وأبجد العلوم وحجة الله البالغة وأوجز المسالك وفتح الملهم وكتاب فيض الباري وتحفة الأحوذي ونزهة الخواطر وقاموس تاج العروس وكتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.

العربية في كيرالا

وبالتفاتة خاطفة يمكننا الاطلاع على ما حازت العربية في ولايتنا كيرالا. وكانت هذه الولاية ـ كما هو معلوم لدى الجميع ـ على اتصال وثيق مع البلاد العربية منذ قديم الزمان، وهذه العلاقات وإن كانت هادفة إلى إرساء القواعد التجارية بين القطرين إلا أنها ساهمت في نشر العربية وثقافتها في ربوع كيرالا. ولا زالت آثارها ناطقة بفضل العربية ورجالها. وخلافا لسائر المناطق الهندية نجد في كيرلا بيئة مواتية لانتشار العربية ، يدلّ على ذلك اهتمام المجالات الأكاديمية بدراستها وتدريسها منذ المراحل المدرسية وحتى المستوى الجامعي والدكتواره.وقد وهبت كيرالا علماء أفذاذا نذروا حياتهم للعربية، ويظل العالم العربي يذكر بكل احترام علماءنا من أمثال : زين الدين المخدوم وأبوبكر رمضان الشالياتي والقاضي محمد الكالكوتي والسيد جفري والسيد فضل تنغل والقاضي عمر البلنكوتي والدكتور محي الدين الآلوائي والدكتور حمزة الملباري وغيرهم ممن جادوا بقريحتهم وإبداعهم وقدموا للوجود أعمالا عربية تتميز بأصالتها وموضوعيتها. وحاليا تتوفر الدراسات العربية بمستوى البكالوريا والماجستير في الكثير من الكليات في القطاع الحكومي والأهلي، والبحوث في العربية تجري الآن في مختلف الجامعات والكليات حيث يتفرغ أكثر نحو مائة من الباحثين إلى بحوثهم العلمية ، إلى جانب المدارس والجامعات الدينية التي تكفلها الحركات والمؤسسات الدينية، مما يمكن القول إن العربية أصبحت في كيرالا في الاتجاه الاجتماعي السائد.

وكل هذه المناقب والمحامد تفرض علينا ـ نحن الأساتذة والطلبة ، تكريس جهودنا المتضافرة لأجل رقي اللغة العربية ومواكبتها تماما مع أوضاعنا الثقافية والحضارية المحلية والوطنية، ولتعريف العالم العربي بآثارنا الإبداعية، لتيم في خلاله التبادل الثقافي وليكون ذلك ولاءً منا للغة الضاد ووفاءً منا لأسلافنا الأمجاد.

ضرورية وجود أكاديمة عربية

ومن هذا القبيل القيام بتشكيل أكاديمة عربية لتكون مسرحا مفتوحًا لكل النشاطات الأدبية والإبداعية في العربية.. وإن القرن الواحد والعشرين فتحَ لنا الأبواب موَسّعة لانطلاقة جديدة مع العربية إلى آفاق المعرفة اللانهائية. وهذه الانطلاقة تتمثل في نهوضنا بترجمة الآثار الميالمية إلى العربية ، علما بأن العالم العربي ينتطر بشوق بالغ للاطلاع

على الأعمال الإبداعية التي ينتجها رجال كيرالا، ويكفينا دليلا على ذلك جهودُ السيد شهاب غانم ومحمد عيد إبراهيم في ترجمة بعض الآثار الملیالمية التي أقبل عليها المثقفون العرب بقلبهم وقالبهم. وحبذا لو كانت المنظومة التعليمية المتبعة في الكليات والجامعات تتجدّد بحيث تكون الفرصة لطلاب الماجستيروالبحوث للقيام بترجمة هذه الآثار إلى العربية.

ومن الملحوظ أن القدرة اللغوية تقوى وتنشط حين نتفرغ إلى مهمة الترجمة، والفقر اللغوي الذي يشكو منه الطلاب والأساتذة ليس من عدم وفرة المفردات والتراكيب في أذهانهم، بل بقلة الاستعمال وعدم إيجاد الفرص لتوليدها لتطبيقها، ولا تكون ولن تكونَ اللغة حية يقظة ما لم يكن هناك هذا التوليد والتطبيق. ومن اللازم كذلك القيام بتوليد الكلمات والتراكيب العربية المناسبة لكل ما نجد ونقرأ في لغتنا مليالام، مما لا يتوفر ما يماثله في المعاجم والقاموس، وكل تركيب ينشأ في بيئتنا فنحن أولى الناس لإيجاد ما يماثله في العربية، حتى يتم على أيدينا وبجهودنا السيرُمع العربية نحو إشراقة جديدة ـ تلك الإشراقة التي تحيي اللغة وتقوي الآداب فيتنشط معها كل الأوساط الاجتماعية.